مجلة التاريخ المتوسطي. المجلد 07، العدد 02. شهر ديسمبر 2025. ص: 193 - 209
P-ISSN: 2716-764X, E-ISSN: 2716-7747

ت. الإرسال: 30 – 09 - 2025	ت. القبول: 02 – 12 - 2025	ت. النشر: 28 – 12 - 2025

تحولات السرد التاريخي في العصر الرقمي

دراسة تحليلية نقدية لتأثير وسائل التواصل الاجتماعي على كتابة وفهم التاريخ المعاصر

Transformations of historical narratives in the digital age

A critical analytical study of the impact on the writing and understanding of contemporary history

رحموني لبنى

مخبر دراسات الإعلام والوسائط الرقمية،

جامعة أم البواقي، الجزائر.

Rahmouni.loubna@univ-oeb.dz

الملخص:

سعت هذه الدراسة للتعرف على الكيفية التي أعادت بها شبكات التواصل الاجتماعي تعيين شروط إنتاج السرديات التاريخية وتداولها وتلقيها وترسيخها في الذاكرة الجماعية في العصر الرقمي، مع تسليط الضوء على دور خوارزميات الترتيب والاقتراح والاعتدال في خلق آفاق تفسيرية مغايرة للمعلومة التاريخية، وعلى هذا الأساس تتحدد إشكالية البحث في محاولة فهم آليات تأثير قواعد المنصات الرقمية وتحديدا شبكات التواصل الاجتماعي على أشكال وأنماط السرد التاريخي، وسبب تفوق الحكايات القصيرة والجذابة في الانتشار على القصص المؤرخة والمتحقق منها. اعتمدت الدراسة منهج التحليل التركيبي النقدي الموجه حسب نموذج Prisma 2020، حيث تم اختيار عينة مركزة من 18 دراسة محكمة في مجال السرد التاريخي الرقمي، تم تجميعها من قواعد بيانات عالمية، بهدف التعرف على تأثير الخوارزميات وآليات الاقتراح والترشيح التي تتميز بها شبكات التواصل الاجتماعي على رؤية التاريخ وتلقيه وتعليمه في لفضاء الرقمي، إلى جانب التعرف على دور المتلقي في تعزيز السرديات المتكررة رغم ضعف التوثيق، وقد أجرت الباحثة مراجعة دقيقة ومستفيضة لهذه الدراسات وفق معايير المراجعات المنهجية لضمان موثوقية ودقة النتائج، مما أتاح تحليلا متعمقا لظاهرة التأريخ في العصر الرقمي.

انقسم البحث إلى خمس مراحل متكاملة تتناول سيرورة تدفق المعلومة التاريخية، تبدأ بإنتاج السرد التاريخي داخل المنصات الرقمي، مرورا بوساطة الخوارزميات التي تتحكم في ترتيب واقتراح المحتوى، ثم دراسة آليات انتشار هذ السرديات عبر الشبكات الاجتماعية، وأخيرا تقييم كيف يتم استقبال هذه السرديات وتأويلها، لترسيخها في الذاكرة الجمعية الرقمية، وقد كشفت النتائج عن تحول واضح في معايير شرعية المعلومة التاريخية، من الاعتماد التقليدي على السياق والإسناد العلمي، إلى مؤشرات الأداء الرقمية المرتكزة على التفاعل والانتشار، مما يساهم في هيمنة السرديات القصيرة والجذابة ذات الطابع العاطفي، في حين تنحسر السرديات المؤرشفة بدقة في هامش الحضور المعلوماتي. كما أظهرت الدراسة بوضوح أن وساطة الخوارزميات لا تنحصر في دور التوزيع فقط، بل تمتد إلى بناء معايير جديدة للتفسير، حيث تؤثر آليات الترتيب والاقتراح والاعتدال على ما يعرض على المستخدم، مما يؤثر على معايير الشرعية المعرفية في الوعي الاجتماعي، ويستلزم تدخلا منهجيا في تطوير مهارات التحقق الرقمي، خصوصا القراءة الجانبية متعددة المصادر التي تدعم التقييم النقدي لسرديات التاريخ الرقمي، لمواجهة الفجوة المعرفية التي تعاني منها فئات واسعة من المتلقين، كما أن توجيه شبكات التواصل الاجتماعي وفق سياسات تجارية وقانونية متغيرة يضيف أبعادا معقدة لعملية التأرخ، حيث يتعين على المؤرخين والمعلمين إعادة النظر في استراتيجيات التعليم والتأريخ.

في الختام، تؤكد الدراسة على أن شبكات التواصل الاجتماعي قد أصبحت اليوم عنصرا مركزيا في تأطير كتابة وفهم التاريخ المعاصر، حيث باتت منصات رقمية فاعلة في تحديد معايير المعرفة التاريخية العامة، ومن هنا تبرز الحاجة إلى دمج الوعي الكافي بالخوارزميات وآليات المنصات الرقمية في المناهج التعليمية التاريخية، لدعم قدرات المتعلمين على التمييز بين المعلومة الدقيقة

والمضللة، فضلا عن ضمان الفهم الأصح والأدق للتاريخ في العصر الرقمي، وهو ما من شأنه أن يحافظ على الذاكرة الجمعية ويطور ممارسات التأريخ بما يتناسب مع التحولات الرقمية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: السرد التاريخي الرقمي، الوساطة الخوارزمية، الذاكرة الشبكية، القراءة الجانبية.

Abstract:

This study seeks to investigate how Social Media networks have changed the criteria of the production, distribution and reception of historical narratives, especially in collective memory in the digital era. It focuses on the way that algorithms of ranking, suggestion and interpretation create different interpretations of historical data. On this basis, this study attempts to investigate in the influence of social media platforms on the forms and the patterns of historical storytelling with short and captivating stories that tend to spread widely than well organized, documented and verified accounts of history. The researcher used the PRISMA 2020 model to apply a guided critical synthetic analysis method on a sample of 18 peer-reviewed studies retrieved carefully from worldwide databases, the main conditions is that they treat the subject of history in digital platforms. The objective is to identify the effects of recommendation/moderation mechanism and algorithms on the vision, the reception and the instruction in cyberspaces as well as the audience participation in prompting repeated stories regardless of the verification defects.

The researcher performed a rigorous and exhaustive review of these according to systematic review criteria that aims to insure robust and accurate finding that nuanced analysis of digital historiography. The study is structured in five interrelated phases that address the flow of-information about history. First, it focuses on the production of this kind of narratives within digital spaces. Then, it examines the mediation of algorithms in governing content through ordering and recommendation, followed by a deep analysis of the essential mechanisms through which these stories spread across social platforms, and finally evaluates how they are received and interpreted in our digital collective memory.

The findings freveal notable changes in different criteria of historical data especially in the transition from conventional dependence on contextual and scholarly chain of transmition to digital metrics performance. This emphasizes the engagement, the spread and the domination of short and emotionally appealing stories while archived and well documented ones are dismissed in informational accounts. Besides this, the results shows that algorithmic mediation transcends distribution functions to create news standards for meaning creation, such as suggestions and moderation processes that determine the uses and exposure and alter cognitive legitimacy. This calls for systematic training in the techniques of digital verification, in particular the Cross-Lateral reading that facilitates the critical scrutiny of virtual storytelling in history, in the aim of mitigating cognitive gaps between users and receivers.

Furthermore, the findings highlight the commercial and the legal policy directions of social media hat complicate historiographical processes. This requires the rethinking the production of education strategies by educators and historian.

Keywords: Historical Narratives; Algorithmic Narration; Networked Memory; Lateral Reading.

المؤلف المرسل: لبنى رحموني، **الإيميل:** Rahmouni.loubna@univ-oeb.dz

مقدمة

تثبت الوقائع اليومية في تصاعدها الحاد وتحولاتها المتسارعة، أن الإنسان اليوم لم يعد يتعرف على ماضيه عبر وسيط واحد ثابت – هو الوثيقة التاريخية وما يحيط بها من عمليات نقد وتمحيص داخلي وخارجي- بقدر ما بات يعاينه من خلال منظومة منصات رقمية وشبكات للتواصل الاجتماعي قابلة للبرمجة، تعيد ترتيب مجال الرؤية، وتسوّغ قيمها الخاصة في التنظيم والانتشار وقابلية المشاركة، بحيث أضحت قواعد المنصة(البرمجية والتشعبية والاتصالية و تحويل الظواهر إلى بيانات Datafication معيارا مشكلا للمحتوى التاريخي، أي أن شرعية الحقيقة التاريخية لا تُستمد اليوم من داخل النص التاريخي ومن نظام الإسناد والسياق، بل من خارج النص، من خلال إشارات التفاعل الرقمية، واقتصاد الانتباه الذي يتحكم في إظهار بعض

السرديات وإخفاء أخرى (Van Dick & Poell, 2013: 255-272)، وهو ما يفضي بالضرورة إلى انتقال مركز الثقل من إيبستيمولوجيا الوثيقة التاريخية إلى إيبستيمولوجيا المنصة الرقمية، أين تصبح الآليات الخوارزمية منتجا مشاركا في تعريف ما يُرى من معلومات وسرديات تاريخية؟ و متى؟ ولمَ يُرى؟

وإذا كان المؤرخون قد انشغلوا طويلا بالفصل النظري بين الذاكرة والتاريخ، فإن طبيعة المنصات الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي اللحظية تحيل هذا الفصل إلى انشغال جديد حول الكيفية التي يعاد بها بناء الذاكرة داخل بيئات افتراضية تفضل الآني واللحظي على الممتد زمنيا، ويطغى فيها الحاضر على الماضي إلى درجة ترسخ الحاضرية Presentism التي تفوت على الوعي التاريخي شرط المسافة والنقد، لقد قدّم فرانسوا هارتوغ مفهوم تدابير التاريخانية بوصفه سبيلا لتحليل ودراسة هذا النوع من التوتر بين زمن يندفع إلى الحاضر وماض يستدعى باعتباره مخزونا رمزيا قابلا للاستهلاك السريع (Campaila, 2023 : 352)، وفي هذه الزاوية تحديدا، لا يمكن اعتبار الماضي ماضيا إلا بمقدار ما تسمح به بُنى شبكات التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية من شروط الإظهار والرواج والتداول على صفحاتها، أي بمقدار ما تتكفل الخوارزميات بأن تجعله مرئيا ومتاحا، أو تقصيه إلى هامش لا تدركه عين المستخدم في البيئة الرقمية.

وما بين الذاكرة والتاريخ تتبدّى جدلية أخرى صاغها بيار نورا في أطروحته عن أماكن الذاكرة Lieux de mémoire، إذ تظهر هذه الأطروحة أن كثرة مواقع التذكر اليوم تدل على انتقال الذاكرة من التجربة الحية إلى ذاكرة مهندسة تُدار مؤسسيا وإعلاميا، ومع هيمنة المنصات أصبحت الخوارزميات المحدد الرئيسي لما يحفظ وكيف يستعاد، وما الذي يتم تداوله من سرديات تاريخية عبر مختلف المنصات الاجتماعية. بهذا المعنى فإن شبكات التواصل الاجتماعي تتحول إلى أماكن جديدة للذاكرة، لكنها أماكن تحدد المنصات الرقمية قواعدها، من خلال ترتيب ظهور السرديات، وإيقاع تحديث البيانات، وأنماط الاقتراح والتوصية، وحدود الشرعية السردية، هذه التفاصيل التقنية هي في نفس الوقت قرارات قيمية تؤثر في بنية السرد التاريخي وتأويله.

من هذا المنطلق، يتضح لنا أن منطق شبكات التواصل الاجتماعي في سرده للتاريخ لا يعمل فقط على كونه وسيطا لتقديم المحتوى، بل إنه يشكل القيمة المعرفية نفسها، إذ يمكن أن نصادف في واجهات رقمية واحدة روايات مؤرشفة ذات سند وثيق ، مع أخرى مثيرة وقصيرة وقابلة للانتشار تفتقر إلى الاسناد، فتفوز الثانية في سباق الظهور والانتشار المعلوماتي، وقد كشفت دراسة قدمها فوسوغي وآخرون (Vosoughi, Roy, & Aral, 2018 : 1146-1151)أن الأخبار الزائفة تنتشر أسرع من الأخبار الصحيحة، وأن البشر- لا البوتات وحدها-، هم المحرك الرئيسي لهذا الانتشار، مدفوعين بحافز الجدة والإثارة، وهو ما يضعنا أمام انزياح بنيوي تتفوق فيه السردية المثيرة على السردية الموثقة والصحيحة، بما يحمله ذلك من أثر مباشر على كتابة وفهم التاريخ في الفضاء العمومي.

وإذا انتقلنا من بنية الانتشار إلى بنية التلقي، سنجد أنفسنا أمام فجوة تربوية أخرى، إذ تُظهر أعمال فريق التفكير المدني الرقمي بجامعة ستانفورد أن التمييز بين المنصات والمصادر، والتمكن من آليات التحقق لمراقبة السرديات التاريخية، لا يزال ضعيفا لدى المتعلمين، وأن ممارسات تقصي الحقائق محدودة الحضور في القراءة الطلابية للأحداث التاريخية، ما يجعل أحكامهم واستيعابهم وتلقيهم للحقيقة التاريخية يتأثر بما هو أعلى حضورا لا بما هو أصح من حيث الإسناد.(Wineburg, McGrew, Breakstone, & Ortega, 2016 :1-56)

إن هذه الخلفية تسوّغ لنا السؤال الرئيسي الذي انطلق منه هذا المقال: كيف يمكن الاستفادة من إمكانيات الوسائط الرقمية، خاصة وسائل التواصل الاجتماعي في تطوير السرد التاريخي مع الحفاظ على الدقة العلمية والسياق العام والفهم الشامل للأحداث؟ وهو سؤال لا يُجاب عنه بإجراءات تطبيقية جاهزة - فذلك الأمر مجاله الأبحاث الميدانية- بل بفحص إبستيمولوجي نقدي لسيرورة تدفق المعلومات التاريخية عبر حلقاتها الخمس: إنتاج السردية التاريخية بما يتضمنه الأمر من انزياح للشرعية من النص إلى الإشارات التفاعلية في البيئة الرقمية، والوساطة الخوارزمية ونعني بها سلطة ترتيب واقتراح السرديات التي يتلقاها المستخدم عبر المنصات الرقمية، والانتشار في فضاءات التواصل الاجتماعي عن طريق الخضوع لأفضلية المثير، إضافة إلى التلقي وما يستلزمه من ضرورة التزام المتلقي بالتحقق أو التثبت من الحقيقية التاريخية وأخيرا ترسيخ هذه السرديات في الذاكرة وما يتضمنه الأمر من صعود أماكن رقمية جديدة للذاكرة، محكومة بمنطق المنصة أو الشبكة، وبقدر ما نحسن تعيين مواطن الخلل ومعايير النقد بقدر ما سيكون بمقدورنا التعرف على خصوصية السرد التاريخي في العصر الرقمي لاسيما السرد المقترن بوساطة شبكات التواصل الاجتماعي.

التساؤلات الفرعية: يعالج المقال في إطار تساؤله الرئيس مجموعة من التساؤلات الفرعية، تم تحديدها على النحو التالي:

- كيف تعيد قواعد المنصة قبل النشر (العنوان، الصورة المصغّرة، الإيقاع والطول) توجيه شكل السرد التاريخي ونقل معيار القيمة من الإسناد والسياق إلى مؤشرات الأداء والظهور؟
- كيف تصنع الخوارزميات أفق القراءة عبر الترتيب والاقتراح والاعتدال، أي ما الذي يظهر أولا وما يُقصى من السرديات التاريخية؟
- ما المهارات الرقمية المطلوبة لتقييم المنشورات التاريخية، والتمييز بين إشارات واجهات المنصات الاجتماعية وموثوقية المصدر؟

اعتمدت هذه الدراسة على تصور منهجي يقوم على التحليل التركيبي النقدي (Meta-Analysis/Synthesis)موجه بالنظرية أكثر منه إحصائيا، من خلال تحليل ودمج نتائج الأدبيات والدراسات السابقة المحكمة التي عالجت دور المنصات الرقمية والتعليمية وشبكات التواصل الاجتماعي في تعليم التاريخ ونشره، وتفكيك افتراضاتها ومنهجياتها، وقد التزمت الباحثة بمراجعة منهجية ودقيقة مستلهمة من قائمة Prisma 2020(Preferred Reporting Items for Systematic Review and Meta Analysis)، وهي معيار دولي يحدد عناصر التقارير والدراسات المفضلة للمراجعات المنهجية والتحليلات الوصفية في الأبحاث العلمية بهدف ضمان شفافية وموثوقية دراسات التحليل البعدي أو ما يعرف بالمراجعات المنهجية، هذا النظام هو عبارة عن دليل عملي يضم مجموعة من الإرشادات والقوائم المرجعية التي ينبغي على الباحث اتباعها عند إعداد ونشر المراجعات المنهجية كما هو الحال في هذه الدراسة، مع الإشارة إلى أن هدف الدراسة منذ البداية هو تقديم تحليل نقدي وليس تجميع الدلالات الكمية، ولهذا فقد اتبعت الباحثة الخطوات التالية:

الاعتماد على تطبيق AI Consensus وهو تطبيق للذكاء الاصطناعي مرتبط مباشرة بقواعد البيانات العالمية Clarivate و Scopus من أجل البحث عن الدراسات والأدبيات التي ترتبط بموضوع الدراسة الحالية، في خطوة تنسجم مع المستوى الأول من تطبيق دليل Prisma 2020، أي تحديد نطاق المراجعة المنهجية بدقة، على

أن تتميز الدراسات التي يتم انتقاؤها بكونها محكمة علميا، وملاءمة موضوعيا للدراسة الحالية، وقابليتها للتبع أي الحصول على النص الكامل للدراسة.

- بعد البحث عن الدراسات والأدبيات المرتبطة وتحميلها توصلت الباحثة إلى مجموع 82 دراسة تبدو مرتبطة بموضوع الدراسة الحالي، لتنتقل إلى الخطوة الثانية وهي تطبيق معايير الاشتمال أو الاستبعاد للدراسات ذات الصلة أو تلك التي لا ترتبط بالدراسة الحالية.
- انتقلت الباحثة إلى المرحلة الثالثة من تطبيق دليل Prisma 2020 وهي مرحلة تعقب السجلات من خلال الاطلاع على فحوى كل دراسة على حدى ومقارنتها بموضوع وإشكالية الدراسة الحالية.
- بعدها تم إقصاء كل الدراسات والأدبيات التي لا تستجيب للمعايير المنهجية والموضوعية المرتبطة بدراستنا الحالية حول السرد التاريخي الرقمي من خلال شبكات التواصل الاجتماعي.

في الأخير، ومن خلال مرحلة تلخيص قوة الدليل، قامت الباحثة بتكييف التحليل حسب المنطلقات التي انطلقت منها الدراسة، وهي مبنية على خمس محاور كما أشرنا إليه سابقا، وهي: إنتاج السردية التاريخية، الوساطة الرقمية، دور الخوارزميات، الانتشار التلقي والتأويل وأخيرا الترسيخ في الذاكرة الجماعية، ليتم بعدها تطبيق هذا المسار وتحليل هذه المحاور على ثمانية عشر دراسة 18 تم التوصل إليها وحصرها بتطبيق دليل Prisma 2020 السالف الذكر، وهي تظهر في التحليل النقدي المبين أدناه.

1. **إنتاج السرديات التاريخية في العصر الرقمي عبر شبكات التواصل الاجتماعي:**

بينت نتائج تحليل الأدبيات السابقة أن السؤال الحقيقي اليوم، ونحن نعيش منعطفا رقميا لافتا أثّر على مختلف أطوار العملية التعليمية، لم يعد مرتبطا بمن يكتب التاريخ، بل بإعادة صياغة الشروط الأساسية للكتابة التاريخية ذاتها، إذ أصبحت شرعية وموثوقية المعلومة التاريخية تقاس بمعيار التفاعل الذي يبديه المستخدمون معها على شبكات التواصل الاجتماعي، ومدى تداولهم لها، فقد خرجت الكتابة التاريخية من انغلاق ابستيمولوجيا الوثيقة، إلى فسحة منصاتية رقمية تغيرت معها مفاهيم القيمة التاريخية وفق قواعد وأسس جديدة ترتبط أولا بالبرمجية programmability التي تمكن الشبكة من تشكيل السلوك وتوجيهه، ومدى شعبية الوسيط الرقمي Popularity التي تجعل من إشارات ونقرات الإعجاب والمشاهدة مؤشرا على المصداقية، ومعيار الاتصالية Connectivity التي سرّعت وصل الذات بالموضوع، وتحويل الأثر البشري إلى بيانات قابلة للقياس وإعادة الترتيب Datafication، هذا التحديد الرباعي الذي قدمه فان ديك وبويل يؤكد أن شبكات التواصل الاجتماعي كمنصات رقمية ليست محايدة في نقلها للمعلومات لاسيما التاريخية منها، وأنها غيرت الشروط والقواعد التي تنتظم بها المعاني في الفضاءات الرقمية ((Van Dick & Poell, pp : 1-14، وبهذا المعنى تنزاح شرعية السرد التاريخي من داخل النص أين تحتكم المعلومة التاريخية لمنطق الإسناد والسياق والحجاج، إلى خارجه، حيث يسود منطق الانتباه والمؤشرات السلوكية، فيتحول حسن العرض وقابلية المشاركة للسردية التاريخية إلى مؤشر نوعي لكيفية الإنتاج وهو ما ينعكس مباشرة على اختيارات البنية السردية للمعلومة التاريخية التي يتم نشرها عبر شبكات التواصل الاجتماعي، خاصة من حيث ميلها للإيجاز وإعادة تركيب السرد وفق الإيقاع السريع للفيديو القصير.

وإذا كان توسع قاعدة المنتجين للسرديات التاريخية من المؤرخ المحترف إلى المؤثر وصانع المحتوى والمشاركين في المجتمعات الرقمية، يبدو ظاهريا كعلامة ديمقراطية معرفية، فإن أثره الإيبستيمولوجي أعقد من ذلك، إذ تولّد ثقافة الاندماج التشاركي عبر شبكات التواصل حالة تجاور دائم بين أنماط إنتاج متباينة للسرديات التاريخية، تفرض فيها على المنتج غير المؤسسي) الذي لا يتبع مؤسسة معينة للتعليم(رهانات الشبكات وإغراءاتها، فيعيد – بوعي أو بدونه- صياغة مادته التاريخية بما يلبي منطق التداول وقواعد الانتشار الرقمي لا منطق التوثيق، وقد نبّه هنري جنكنز مبكرا إلى أن الالتقاء/ التقارب، هو تحول ثقافي يجعل الجمهور مشاركا في بناء التاريخ وإنتاجه، وعليه فإن اتساع الإنتاج لا يعني بالضرورة دورة معرفية.

وليس من المبالغة القول بأن شبكات التواصل الاجتماعي تُسهم في لحظة الإنتاج ذاتها، من خلال تصميم الرؤية التاريخية مسبقا، فاختيارات العناوين والصور المصغرة وإيقاع المونتاج وزمن الفيديو وطول الفقرة وتقطيع السرد، جميعها قرارات تقنية تُتّخذ تحت وطأة الخوارزميات التي تتدخل فيما يفضله المستخدمون لمواقع التواصل الاجتماعي ولما يوصى به من سرديات تاريخية، وهنا تصبح الشبكة الاجتماعية فاعلا إبستيمولوجيا مشاركا في الكتابة التاريخية قبل عملية النشر، وهو ما يفسر لماذا تتجاور في نافذة واحدة سرديات رصينة مؤرشفة وأخرى خفيفة وعابرة ومثيرة، فتتفوق الثانية بعين الجمهور لأن المنصة الرقمية وجدت في الأصل لتمنحها الأفضلية، وهذا ما تمهد له أطروحة فاندايك وبويل بوضوح حين تربط بين ديناميات المنصة أو الشبكة ومنطق الإعلام الجماهيري. ليتم بعدها التحكم فيما يظهر وما يتم حجبه عبر شبكات التواصل الاجتماعي.

وإذا أضفنا إلى ما سبق سؤال الهيمنة المنهجية - أي من يقرر قواعد إظهار وإخفاء المنشورات عبر شبكات التواصل الاجتماعي- يبرز بعد آخر في لحظة الإنتاج ذاتها، فمنتج السردية التاريخية يتوقع مسبقا ما سيُكافأ عليه خوارزميا من طول وإيقاع ووسم وتوقيت، ويسعى ضمنيا إلى مسايرة الذائقة الخوارزمية، ومن هنا تتجلى وجاهة التحليل الذي قدّمه جيلسبي عن (حراس الأنترنيت)، فسياسات الاعتدال والترتيب عبر شبكات التواصل الاجتماعي ليست مسالة تقنية بل قرارات قيمية تشكل حدود شرعية وموثوقية البيانات التي يتم نشرها وتداولها، وما يعتبر انتهاكا أو إزعاجا، وهي تنعكس قبل النشر على طريقة بناء المادة التاريخية ذاتها (Gillespie, 2018: 234)، فتنتج لنا سردية وقصص تاريخية مجتزأة*، وتستبعد منها هوامش وتفاصيل حساسة، وتختفي منها بعض القضايا الحساسة خشية الحجب أو الخفض في التوزيع و الانتشار.

كما أن تحيزات البحث عبر شبكات التواصل الاجتماعي تؤثر هي الأخرى على طريقة توليف السرديات منذ البدء، وفي هذا السياق، تبين نوبل عبر أمثلة موثقة كيف تعيد محركات البحث إنتاج اللامساواة الرمزية من خلال آليات التصنيف والترتيب والاقتراح التي تخضع لها المادة التاريخية، بما ينعكس مباشرة على تصور المنتج لهذه المادة لمفردات وتراكيب وصور يمكن أن تساهم في الصعود بالسرديات وتصل بها إلى مستوى الظهور اللازم

* يُقصد بعبارة «قصص تاريخية مجتزّأة» السرديات التي تعاد صياغتها اختصارا وانتقاء بما يلائم منطق المنصة ومقاييس أدائها، فيحافظ على المقاطع الأكثر جاذبية بصريا وانفعالا ويُستبعد قدر من السياق الزمني، والهوامش التحليلية، والتفاصيل الحساسة، تحسّبا للحجب أو خفض الوصول، أو طلبا لتعظيم مؤشرات التفاعل؛ فتغدو القصة عالية الرواج منخفضة السياق، ويتحوّل معيار الشرعية من الإسناد والبرهنة إلى الظهور والأداء.

عبر الشبكات الاجتماعية، وبين تلك التي يتم طمرها في صفحات غير رائجة (Noble, 2024 : 113)، وفي مناخ لإنتاج المحتوى التاريخي تميزه هذه التفاصيل يتقلص الحافز للتفصيل والتوثيق الدقيق، ويقوى الميل إلى المفردات الرائجة Trending والحقول الدلالية التي يكافئها الخوارزم، فتتشكل بنية الإنتاج على صورة ما يُكافأ لا على مبدأ ما هو اصح وأرسخ سندا.

2. **تأثيروساطة الخوارزميات على مرئية السرديات التاريخية:**

إذا كانت شبكات التواصل الاجتماعي قد بدّلت شروط إنتاج السرد التاريخي، فإن وساطة الخوارزميات قد أعادت هندسة مسالك الرؤية نفسها، وفرضت على المتلقي ماذا يرى أولا وبأي ترتيب ومعيار ومشروعية، حتى غدت الخوارزمية هي الأخرى فاعلا إبستيمولوجيا ينسج المعنى التاريخي عبر ثلاث دوائر متداخلة: الانتقاء Ranking والاقتراح Recommendation والاعتدال/ الحجب Moderation، وما يضاعف أثرها أن مبادئها تحول المادة التاريخية إلى إشارات قابلة للقياس والتوقع، بحيث تقرر المنصة الرقمية لحظة بلحظة ما يرفع إلى مركز الواجهة، وما يُدفع للهامش.

في هذا السياق قدّم جيلسبي مفهوم خوارزميات الصلة العامة[1] بوصفها آليات تحدد ما هو أكثر صلة بنا من بين ركام هائل من الآثار الرقمية ، وهي لا تعكس الواقع بقدر ما تجسد رؤية مرمزة تتضمن دوما افتراضات قيمية حول ما يستحق الظهور وكيف يقاس استحقاقه ((Gillepsie, 2014, pp : 167-194، وتتضاعف إشكالية الوساطة عندما يغيب وعي المستخدم بوجود الخوارزمية أصلا، فقد بينت دراسة ميدانية أن 62 من المبحوثين لم يكونوا على علم أن ما يتلقونه يتم انتقاؤه خوارزميا وأن ردود الفعل لدى هؤلاء تراوحت بين الدهشة والغضب من كونهم منقادين بفعل الخوارزمية خلال عملية التلقي ((Eslami & Et, 2015, pp : 153-162، هذا الجهل يسهل للخوارزمية أن تبدل إدراكنا لدور شبكات التواصل الاجتماعي ولما نظن أن الآخرين ينشرونه أصلا عبر صفحاتهم، فينتج انطباع مضلل بأن بعض الفئات تفرط في استهلاك نوع معين من المحتوى، والواقع أن آليات الظهور تضخم ما حاز تفاعلا مسبقا.

أما على مستوى البنية الثقافية للوساطة الخوارزمية، فتنبه تاينا بوخر إلى أن ما يحصل ليس مجرد تصنيف وتقريب، بل علاقات اجتماعية مبرمجة تقوم على تشكيل الروابط والمعاني وفق تصميم تقني يحدد إيقاع التقارب والتنافس على الظهور، فالأصدقاء والذكريات والقيمة ذاتها تُحسب بأوزان رقمية تجعل من الرؤية/ الخفاء أداة لتشكيل السلوك (Bucher, 2018, p : 118)، ومن ثم تتحول الخوارزميات من وسيط إلى حارس بوابة معرفي يقرر من يُرى ومن يُقصى من المشهد العام، وهو ما ينعكس مباشرة على السرد التاريخي حيث تكافأ قصص الإثارة القصيرة والمدهشة من حيث إحصاءات الانتشار على حساب القصص المشروحة ذات السند المنهجي والسياق الطويل.

وتدخل سياسات الاعتدال حلقة الوساطة باعتبارها معيارا لتنقيح مشهد صناعة المحتوى التاريخي وفق مجموعة من القواعد، يأتي على رأسها معيار الملاءمة للسياق المجتمعي وسلامة النص التاريخي من الانحياز، لكن

[1] . خوارزميات الصلة هي آليات ترتيب واقتراح تحدد ما يُعرض للمستخدم باعتباره «الأكثر صلة» من بين فائض الآثار الرقمية، لا بوصفه انعكاسا محايدا للواقع، بل وفق رؤية مرمَّزة تُضمّن افتراضات قيمية حول ما يستحق الظهور وكيف يُقاس استحقاقه عبر مؤشرات أداء وملاءمة وتفاعل وزمن مشاهدة وانفعال.

جيلبسي يبين بوضوح أن المنصات الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي قد جانبت معيار الحيادية، بمجرد انتقالها من السرد الزمني العكسي إلى الاعتماد على العروض الموجزة للمعلومات التاريخية، فبذلك تكون قد انتقلت من نقل المعلومات والبيانات التاريخية، إلى صناعتها وتقديمها كمادة إعلامية، بما يستتبع ذلك من مسؤوليات جديدة وحدود مشروعية يتحكم فيها النقاش العام لا المؤرخين والأكاديميين

(Gillepsie, 2022 : 198-216) ، عمليا يعني هذا أن المحتوى الذي يتلقاه المستخدم ليس حقيقيا، بل منتج تحريري خوارزمي يتشابك فيه الأصل بالممول من المضمون، والاجتماعي بالتجاري، والمسموح بالمحجوب، كل ذلك داخل واجهة واحدة تقدّم بوصفها حيادية.

من زاوية السرد تحديدا لا يقف أثر الوساطة الخوارزمية عند ترتيب نتائج البحث عن السردية التاريخية عبر شبكات التواصل الاجتماعي فقط، بل يمتد إلى صناعة أفق التفسير أيضا، فحين تفضل الخوارزميات مؤشرات شعبية المحتوى، والوقت الذي يقضيه المستخدم أمام شاشات الهواتف، والتفاعلات التي يبديها مع المحتويات التاريخية، والتشابه البنيوي بين جماعات المستخدمين لنفس المجموعات والصفحات، تترسخ دوامة التعزيز التي تُبقي الروايات الشائعة في موقع الصدارة، وتُضعف قدرة الروايات الأقل انتشارا وغالبا الأعمق سياقا على اختراق المشهد العام وتصدر شبكات التواصل الاجتماعي، وهو ما وثقه جيلبسي نظريا حين وصف ميل الخوارزميات إلى تقدير ما تم التحقق منه اجتماعيا مسبقا وما يلازمه من انزياحات لغوية وثقافية لصالح ما هو مهيمن تجاريا، بهذه الآليات تتشكل مع مرور الوقت ثقافة ترتيب للسرديات التاريخية يصبح فيها ما يتصدر نتائج البحث عبر شبكات التواصل الاجتماعي أو توصياتها هو المعقول والمقبول، فتتحول الوساطة الرقمية الخوارزمية إلى سلطة غير معلنة تعيد تعريف المصادر الموثوقة في الوعي العام، وهي لا تتناسب بالضرورة مع منطق التأريخ الرصين.

يضاف إلى ما سبق أن وساطة الخوارزميات لا تعمل في الفراغ، فهي مشدودة إلى بُنى اقتصادية وقانونية تعمل على إعادة صوغها على نحو مستمر، على رأسها ضغط المعلنين وصدمات الرأي العام وقيود التشريعات، وهي جميعا عوامل تغير قواعد الوساطة الرقمية سريعا وتنعكس مباشرة على ما يظهر من السرديات التاريخية وما يخفى، وعند هذه النقطة بالتحديد تتبدّى الحاجة إلى تدريب منهجي على قراءة المنصات الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي، أي تقاطع دراسات شبكات التواصل الاجتماعي مع النقد التاريخي، كي لا يتحول المؤرخ ومعلم التاريخ إلى مستهلك لمشهد رتبه غيره على أساس غير معلن.

هذا كله لا يعفي الحقل التاريخي من مسؤوليته، من معلمين ومؤرخين وباحثين أكاديميين من المسؤولية، إذ أن مقاومة آثار الوساطة الخوارزمية لا يكون بشجبها من الخارج، بل بتضمين مهارات النقد الرقمي والوعي الخوارزمي داخل مهارات التأريخ والتدريس، أي تدريب الطلاب على التحقق من المعلومات التاريخية عبر القراءة الجانبية، وهي أسلوب تحقق رقمي يقوم على الخروج سريعا من الصفحة أو المنشور محل الادعاء والبحث عنه عبر مصادر مستقلة ومتعددة قبل مواصلة القراءة، بدل الاكتفاء بفحص المحتوى داخليا فقط. عمليا، يبدأ القارئ بفتح تبويبات جديدة للبحث عن خلفية الجهة الناشرة والمؤلف، وتتبّع السمعة والمصداقية، ومقارنة المعلومة بتقارير أو قواعد بيانات موثوقة، ثم العودة إلى النص الأصلي وقد تكوّن لديه سياق أوسع للحكم عليه.

بهذه الطريقة، تتحوّل مهارة التحقق من قراءة عمودية مغلقة إلى تحقق أفقي يستند إلى تقاطع الأدلة، وهو ما يناسب الحقل التاريخي تحديدا لأنه يربط كل ادعاء بسلسلة نسب معرفية ومصادر أولية ومراجعات نقدية.

3. **الانتشار والعدوى المعلوماتية:**

يستحيل فهم صعود السرديات التاريخية سريعة الانتشار عبر شبكات التواصل الاجتماعي دون الوقوف على ديناميات انتشارها، فالمسألة لا تتعلق بمجرد مرور رسالة من مرسل إلى جمهور متلقي، بل بنظام عدوى معلوماتية يتم ضمنها تشكيل المعايير الاجتماعية للحقيقة في العصر الرقمي، عبر مؤشرات شعبية هذه المواقع، وسرعة التقاط البيانات واتساع الشبكات الثانوية، ولعل الدراسة المرجعية التي أجراها فصوغي وروي وأرال على بينات تويتر خلال أحد عشر عاما تقدم تفسيرا منطقيا لذلك، إذ تبين أن الأخبار الزائفة تنتشر أبعد وأسرع وأعمق من الأخبار الصحيحة عبر منصة إكس (تويتر سابقا)، في جميع المجالات مع تفوق واضح للسياسة، والأهم أن هذا الفارق لا تفسره الشبكات أو خصائص المستخدمين، بقدر ما تفسره خصائص الانتباه لدى المستخدمين، لا البوتات، مدفوعين بعاملي الجدة والانفعال (Vosoughi, Roy et Aral 2018 :1146-1151)

على صعيد التفاعل الفردي داخل الشبكات، تظهر الدراسة نفسها أن المعلومات الزائفة تحوز على درجات أعلى من الجدة المعلوماتية قياسا بما سبق أن تعرض له المستخدمون، وأن الاستجابات الانفعالية المصاحبة له تميل إلى الخوف والاشمئزاز والمفاجأة، مقابل التوقع والثقة في الردود على الأخبار الصحيحة، وهذه الفروق بوصفها محركات اجتماعية للانتشار، تفسر لماذا تتصدر السرديات التاريخية الحادة واجهات شبكات التواصل الاجتماعي، وتتراكم حولها مستويات متعددة من التعليق والمشاركة تضاعف أثرها (Vosoughi, Roy et Aral 2018:1146-1151)، في ضوء ذلك يغدو اقتصاد الانتباه أكثر من كونه توصيفا ثقافيا، إنه يقدّم تفسيرا عمليا للكيفية التي تتفوق بها القصص القصيرة والمثيرة على السرديات الموثقة والطويلة في البيئة الرقمية، لأن ما يكافأ فعلا هو ما يخطف الانتباه بسرعة ويولد قابلية عالية للمشاركة والتضخيم الشبكي، فخوارزميات الترتيب تراقب مؤشرات التفاعل اللحظية مثل النقرات وإعادة النشر ومدة المشاهدة، وتعيد ضخ المحتوى الذي يثير تفاعلا عاطفيا أعلى، ما يخلق حلقة تغذية راجعة ترفع من معدلات حضور الحكايات المفاجئة وتضغط على مساحة السرد التاريخي المحكم المتريث (Diaz Ruiz 2023 : 2188- 2211) وبهذا المعنى لا يصبح الانحياز ناتجا عن سوء نية فحسب، بل عن التقاء ميول الانتباه البشري مع قواعد توزيع الرواج على شبكات التواصل الاجتماعي، فيتقدم للواجهة المثير والسريع من المضامين التاريخية، لأنه يكلف انتباها أقل للوصول والتفاعل، فيما يتأخر المسند والدقيق لأنه يتطلب زمنا إدراكيا أطول ومسار تحقق أعقد.

ومع أن التويتر يمثل حالة خاصة في بنائه الشبكي وإيقاعه الإخباري، فإن تحليلا موازيا على الفيسبوك قدّم صورة متكاملة حول انتقائية التعرض وغرف الصدد[2]، إذ تظهر دراسة باكشي وزملاؤه على عينة ضخمة بلغت أزيد من 10 مليون مستخدم و903 مليون حالة تعرض أن خوارزمية آخر الأخبار قد قللت نوعا ما من وصول المحتوى ذي الطابع المخالف للانتماء الإيديولوجي للمستخدم، كما أن القرارات الفردية للمستخدمين من انتقاء وتعرض وتجنب قد قللت هذا التعرض بدرجة أكبر، ما يعني أن الوكالة الفردية تتكامل مع الوساطة الخوارزمية

[2] . «انتقائية التعرّض» هي ميل المستخدم لانتقاء ما يوافق ميوله وتجنّب ما يخالفها، عبر قرارات متابعة/كتم/حظر واختيارات القراءة والمشاركة، ما يقلّص انكشافه على روايات بديلة ويُرسّخ نمطا معرفيا متجانسا وذاتيا حول القضايا التاريخية

لتثبيت أنماط من التعرض الانتقائي داخل فقاعات متجانسة نسبيا، فتتصدر – عند موجات الرواج- السرديات التاريخية الأكثر مواءمة لمزاج الجماعة وتصوراتها المسبقة، حتى ولو كانت أقل سندا وأضيق سياقا، بينما يتراجع المحتوى المخالف لتصورات الجماعة لأنه يصدم بمرشحات ذهنية وخوارزمية معا. وتؤكد الأدبيات المرتبطة بتحزّب المنصات أنّ التفاعل الاجتماعي والتخصيص الخوارزمي يعزّزان هذا الاصطفاف عبر مؤشرات تفاعل تُعيد تغذية ما يلقى قبولا داخل الجماعة، وتحدّ من الانكشاف على روايات بديلة، فتتكرّس "غرف الصدى" بوصفها نتيجة تضافر تفضيلات المستخدم وقواعد العرض الآلي، لا بعمل خوارزميات منعزلة وحدها

وتدعم نتائج دراسة غرينبرغ وآخرين هذه الرؤية من زاوية عدم التوزيع المتكافئ للاهتمام، فخلال الانتخابات الرئاسية الأمريكية خلال سنة 2016، مثلت الحسابات المعرضة للمواقع غير الموثوقة شريحة صغيرة جدا من المستخدمين، لكنها ولدت درجات غير متكافئة من التعرض والمشاركة، إذ توصلت الدراسة إلى أن 1 % من المستخدمين تعرضوا ل 80% من مصادر الأخبار المزيفة، وأن 0.1% منهم شاركوا قرابة 80% من تلك المصادر، ما يعني أن الانتشار الكلي قد يتم توجيهه في لحظات عند لحظات الانقسام السياسي من أطراف ذات نشاط عال رقميا تتفاعل مع المحتوى غير الموثوق .(Grinberg, Joseph et Friedland 2019, 374-378) دلاليا لا تنفي هذه النتائج أثر الانتشار الواسع للمحتوى الرقمي، لكنها تظهر أن دوافع الانتشار قد تكون مركزة بنيويا في أطراف الشبكة، الأمر الذي يعيد تعريف الرواج بوصفه حصيلة تفاعل غير متكافئ لا تعبيرا عن جمهور عام بكامل امتداده.

لكن ينبغي قراءة هذه النتائج مع تحفظ منهجي يضبط المبالغات الشائعة حول انتشار الأخبار والمعلومات المزيفة، فوفق تقييم شامل للنظام الإعلامي الأمريكي أجرته آلن وآخرون، يبدو أن حجم الأخبار المزيفة أقل بكثير مما تفرضه السرديات العامة عند النظر إلى كامل سلوك الاستهلاك المعلوماتي (تلفزيون ومنصات ومواقع تواصل اجتماعي)، وأن التلفزيون – لا الشبكات الاجتماعية- ما يزال يشكل الكتلة الأثقل في استهلاك الأخبار لدى الجمهور العام، ومع ذلك لا تبطل هذه النتيجة خطورة الانتشار الشبكي حين يقع، لأنها تتعلق بالتأثير الهامشي على الشدة لا بالحجم المطلق (Alen et et 2015 : 1-12)، بهذا المعنى نحتفظ بمفارقة مركزية، أين تكون الأخبار الزائفة نادرة نسبيا عند قياس الوسيط الإعلامي كله، لكنها متى تحققت شروط الشبكة، فعالة من حيث الانتشار وقادرة على تشكيل تصورات الجمهور حول الموضوعات الحساسة كالسياسة والصحة والتاريخ العام.

وتزيد أبحاث بينيكوك وراند الصورة وضوحا من جهة علم النفس المعرفي، فالقابلية لتمرير الأخبار الحزبية الزائفة تفسر على نحو أفضل بضعف التفكير التحليلي (الكسل المعرفي)، لا بانحياز دافعي فحسب، أي أن لحظة مشاركة المنشورات التاريخية مثلا، تحمل أثرا إدراكيا مستقلا عن الانتماء الإيديولوجي المباشر(Pennycook et Rand 2019 : 39-50)، وتنعكس هذه الملاحظة على السرد التاريخي المنتشر شبكيا، إذ أن حافز الجدة ومؤشرات شعبية مواقع التواصل الاجتماعي قد تُضعف – تحت ضغط السرعة- متطلبات الإسناد التاريخي والحفاظ على السياقات حتى لدى الجمهور المتلقي غير المتطرف ولا المنحاز إيديولوجيا، ما دام عبء التحقق من السردية التاريخية أعلى من متعة المشاركة.

4. تلقي وتأويل السرديات التاريخية من طرف مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي:

إن كانت الخوارزميات تشكل في العصر الراهن أفق رؤيتنا للأحداث التاريخية التي تنتشر عبر الشبكات، فإن التلقي تحول الرائج والمنتشر من السرديات التاريخية إلى معقول ومعهود، إذ تلتقي فجوات المهارة لدى الأفراد مع مؤشرات الرواج داخل الشبكات لتنتج تأويلا اجتماعيا للماضي، ومنه للتاريخ أصلا، وهنا يتحول السؤال الإبستيمولوجي من: ما هي الحقيقة؟ إلى كيف تُمنح صفة الحقيقة في وعي المتلقين داحل بيئة تُكافئ السرعة والجدة؟ في هذا الصدد تشير الأدبيات التجريبية في مال تعليم التاريخ إلى أن قاعدة واسعة من المتعلمين تظهر ضعفا في تقويم شبكات التواصل الاجتماعي ومصادر البيانات فيها، واستراتيجيات التحقق، وأن أنماط القراءة السائدة لديهم تميل إلى الاستهلاك الرأسي داخل الصفحة بدل التقصي الجانبي، عبر فتح نوافذ متعددة وعقد المقارنات بغية التثبت، وتقدم دراسة مكغرو ووابنبرغ وأخرين لوحة تشخيصية دقيقة عبر مهام قصيرة لطلاب المدارس والجامعات، إذ خلصت إلى أن الطلاب عبر المهام والصفوف يواجهون صعوبات واضحة في تقييم السرديات التاريخية والمصادر والأدلة على الأنترنيت، وهو ما يكشف عن ثغرات منهجية في مهارات القراءة الرقمية النقدية (McGrew & et, 2018 : 165-193)، وتتسق هذه النتيجة مع تقرير Stanford History Education Group الذي أظهرت نتائجه عجزا واسعا لدى المستخدمين عن التمييز بين المحتوى الممول والخبر التحريري، وضعفا في تتبع أصل الأخبار وفهم مصالح الجهات الناشرة ونواياها، بما يشير إلى أن المشكلة ليست فردية محضة بل متجذرة في طرائق التعلم والقراءة السائدة .

وتظهر دراسة عن القراءة الجانبية وطبيعة الخبرة المكتسبة لدى مستخدمي المنصات الرقمية، أن الخبراء الحقيقيين في عمليات التحقق من المصادر والمعلومات الرقمية (المدققون المهنيون) لا يغوصون داخل الصفحات للتثبت بل يغادرونها فورا لفحص النسب المتعلقة بالمناشير وسمعة المواقع عبر مصادر أخرى، محققين أداء يفوق أداء المؤرخين والطلاب على حد سواء، أي أن استراتيجية التلقي – لا المعرفة الخلفية وحدها- هي مبدأ هؤلاء في الحكم على صلاحية السرديات، وهو ما يدل على أن التلقي الناقد ليس ملكة تكتسب ضمنيا بل هو منهج قراءة يواجه منطق الواجهة الرقمية بعتاد مضاد، من خلال خريطة إحصاءات المصدر، ومؤشرات الثقة خارج ما تمنحه المنصة من شارات جاهزة؟

لكن علم النفس المعرفي ينبه إلى أن بنية الإدراك ذاتها تسهل انزلاق المتلقي نحو تصديق ما تكرر واعتاد عليه حتى عندما يدرك مسبقا أنه غير صحيح، وهو ما يعرف بأثر الحقيقة الإيهامية، حيث يؤدي تكرار العبارات إلى رفع مستوى موثوقيتها، خصوصا عندما تقدم بصيغ قصيرة وسريعة الإيقاع، وتبين أبحاث لاحقة أن تكرار العناوين والأخبار يعمل بالطريقة نفسها عبر أنواع متعددة من الرسائل، ما يعمق أثر الألفة[3] على مصداقية الحكم على السرديات التاريخية، ولا يقتصر التأثير على العبارات الملتبسة، إذ يمكن أن يمتد أحيانا إلى الواضح

[3] . أثر الألفة هنا يعني أن التكرار يصنع «انطباع صدق» مستقلا عن قوة الدليل؛ فالعقل يميل إلى تصديق ما اعتاده مرارا حتى لو كان يعلم سلفا أنه ضعيف أو خاطئ، بسبب ما يُعرف بـ«أثر الحقيقة الإيهامية»، حيث يرفع التكرار المجرّد تقدير الموثوقية خاصة عندما تُقدَّم الرسائل بصيغ قصيرة وسريعة الإيقاع تسهّل معالجتها إدراكيا. هذا الأثر يتوسع من العبارات إلى العناوين والأخبار عبر وسائط وأنماط متعددة، فيعمّق أثر الألفة على أحكام المصداقية في السرديات التاريخية، ويجعل «سهولة المعالجة» معيارا ضمنيا للصدق: فكلما كان المحتوى أسهل على الذهن بدا أصدق في التقييم، حتى لو كان فقير الإسناد والسياق،

منها خاصة عندما تتوافر دلائل اليسر المعرفي في المعالجة التي تجعل من المعلومة أسهل على الذهن وبالتالي أصدق في التقييم الإدراكي، ومنه يغدو المألوف من السرديات التاريخية معيارا صامتا يدفع باتجاه تصديقها حتى وإن كان ضعيف الحجة والإسناد.

وتتداخل مع ذلك ظاهرة الأثر المستمر للمعلومات المضللة، إذ تظهر دراسة مرجعية في علم النفس أن تصحيح المعلومات المغلوطة حتى ولو يطلع عليها مستخدم الشبكات الاجتماعية، فإنها لا تمحو أثر المعلومة الأولى، فالأذهان تميل إلى الاستمرار في استخدام العنصر الخاطئ ضمن تفسير الحدث، ما لم يقدم له بديل سببي مقنع، وبأسلوب يراعي الزمن والسياق الانفعالي (Lewandowsky & et, 2012 : 106-131)، ويضيف بحث بينيكوك وراند بعدا تفسيريا آخر، حيث أن قابلية مشاركة الأخبار الحزبية الزائفة ترتبط أكثر بنقص في مهارات التفكير التحليلي النقدي من كونها مجرد تحيز دافعي، أي أن الكسل المعرفي يقلص استعداد المتلقي لفحص المصدر والحجة التاريخية، فيميل إلى تمرير ما ينسجم مع المتاح على المنصة
(Pennycook & Rand, 2019. 39-50)، وتتفق هذه النتيجة مع ما نعرفه عن أثر اليسر المعرفي والتكرار فكلاهما يغري بالتبني السريع لما هو ظاهر ومألوف، حتى عندما لا يصمد أما بروتوكولات الإسناد والتحقق، ففي هذه البيئة، لا تكون الواجهة مجرد عرض بصري، بل مجال مؤشرات تشغيل-كثافة التفاعل، وتواتر الظهور، وصياغة عناوين عالية الجاذبية- تصاغ فيه أحكام الصدق دون المرور بإجراءات التحقق.

5. **ترسيخ السرديات التاريخية في الذاكرة الجماعية:**

يشتغل الترسيخ بوصفه الحلقة التي تحول السرديات التاريخية الشبكية من موجات ظهور عابرة إلى مخزون تذكّري دائم، فلا يصبح الماضي هو ما تقرره الأرشيفات وحدها، بقدر ما يصنعه تفاعل المستخدمين ومنطق المنصة، وقد صاغ بيار نورا مبكرا أطروحة (أماكن الذاكرة) ليميز بين ذاكرة معيشة وتاريخ نقدي، مبينا أن كثرة المواقع المتخصصة في الرموز التاريخية(نصب، طقوس، أرشيفات) علامة على أفول الذاكرة الحية وصعود ذاكرة مصطنعة تُدار مؤسساتيا – وفي وقتنا الحالي منصاتيا – حيث يعاد تثبيت الماضي في أماكن تراكم الدلالة وتخضعها لمنطق الحفظ، والانتقاء (Nora, 1989 : 7-24)، بهذه الطريقة، يغدو الحساب الشبكي أو الصفحة التذكارية أو البوابة الموسوعية حيزا للذاكرة تُدير المنصة قواعده التشغيلية- من ترتيب الظهور وسياسات الاقتراح وحدود الملاءمة- فتنتقل شرعية السرد من الاعتماد على الإسناد وحده إلى ما تمنحه هذه القواعد من قابلية للظهور والرواج.

في هذا الإطار تقدم دراسات الذاكرة الشبكية عند أندرو هوكينز صياغة تفسيرية للكيفية التي تتكون من خلالها الذاكرة في بيئات متصلة ومتدفقة، فالتذكر هنا موزع ومتزامن، تكونه التعليقات وإعادة نشر المنشورات التاريخية، والتوصيات...أكثر ما تثبته السلطة الأرشيفية، كما أن هشاشة شبكات التواصل الاجتماعي(قابليتها للتعديل المستمر)، تنتج ذاكرة قلقة تتبدل حدودها ومؤشرات شرعيتها بقدر ما تتبدل واجهات المنصة وخوارزميتها (Hokins, 2009 : 91-106)، وهذا ما يفسر لماذا تصبح مؤشرات الرواج(التكرار، القرب الزمني، التفاعل)، قرائن ووسائل ترسيخ للماضي لا تقل أهمية عن وثائق الحفظ التقليدية، بل وقد تتقدم عليها في الوعي العام.

وتبرهن حالة ويكيبيديا – بوصفها مكان ذاكرة عالمي - على آليات هذا الترسيخ، إذ تتشكل الذاكرة هناك بالتفاوض المستمر بين جماعات التحرير في هذا الموقع، وبالاستناد المتدرج إلى المصادر التي تكتسب قيمتها من قابليتها للتعدد ومن الاعتماد المتبادل بين المقالات والمراجعات المستمرة، ومع أن مشروع ويكيبيديا يعد نفسه موسوعة، فإن وظيفته الاجتماعية تمتد إلى إدارة الذاكرة الثقافية، وبما أن ظهور المقالة في نتائج البحث وتداولها داخل المنصات الأخرى ويغذي حلقة تعزيز تكرس سرديات بعينها، فيتحول ما يترسخ في ويكيبيديا إلى مرجع عام يعاد استحضاره في المناهج ووسائل الإعلام، حتى عندما تظل الاختلافات التاريخية المعقدة طي صفحات النقاش لا في المتن.

في المشهد الاجتماعي الأوسع، لا تكتفي المنصّات بأرشفة الماضي، بل تُنشئ له طقوسا رقمية مستمرة تجعل الغياب حاضرا في التدفق اليومي للحياة عبر الصفحات التذكارية والتفاعلات المرتبطة بها، إذ تظهر دراسات نوعية أن الفضاء الشبكي يوسّع خبرات الموت والحداد زمنيا ومكانيا واجتماعيا، إذ تُبقي هذه الصفحات هوية المتوفى فاعلة ضمن شبكة العلاقات والمعاني المتداولة، وتوضح قراءات كمية كبيرة أن صفحات " ".R.I.P.ترسّخ نمطا من التذكّر العام يجمع بين بقاء الملفات على المدى الطويل وبين خضوع حضورها الفعلي لمعادلات الظهور الخوارزمية وإشارات التفاعل. بهذه الآلية، يتبلور اقتصاد الذاكرة الذي تتوزّع فيه الرؤية والشرعية وفق كثافة التفاعل والتوصية وسرعة الانبثاق، لا وفق اعتبارات السرد التاريخي وحدها أو قوة الإسناد المجرّدة.

ولا يقتصر الأمر على صفحات شبكات التواصل الاجتماعي، فالبينة المرئية للمنصات – لا سيما اليوتيوب- تغري بوصفها أرشيفا حيا يُبنى من السير الصغيرة والمقتطفات التي يعاد تدويرها، في أرشفة غير مستقرة تعاد هندستها بالسياسات والأنماط التجارية والحقوقية، لذلك نبه باحثوا الإعلام المرئي إلى أن من يقوم بالأرشفة حقيقة هو مصفوفة المنصة وشركاؤها التجاريون أكثر مما هو مجتمع المستخدمين، وأن ما يُحفظ أو يُمحى يتبع خريطة مصالح وتوصيات متغيرة، ما يجعل الاعتماد على اليوتيوب كمصدر تاريخي رهينا بالتحقق لما يظل مرئيا حسب خوارزميات المشاهدة والتوصية، وهو التحول الذي تعززه سياسات الموروث الرقمي، فمنذ سنة 2007، شرعت شركة ميتا فيسبوك في تمييز الحسابات التذكارية، ثم أطلقت لاحقا أدوات مثل جهة الاتصال الموروثة Legacy Contact لضمان رعاية الحساب بعد الوفاة – وهي نماذج تظهر كيف تتحول الشبكة إلى وكيل حفظ يحدد من يصل إلى الذكريات وكيف تُدار وتُخمد وتُفعّل (Brubaker & Callison-Burch, 2016)، وهنا يتضح أن الترسيخ لم يعد مجرد تخزين للذكريات، بل حوكمة تذكارية تشرعنها الشبكة بسياساتها وشراكاتها القانونية، والنتيجة أن الذاكرة الجماعية في العصر الرقمي لا تتشكل من المحتوى المحفوظ بقدر ما تتشكل من رؤية محوكمة قوامها:

-أماكن ذاكرة رقمية تتوسطها المنصات الاجتماعية.

-ذاكرة شبكية موزعة تتبدل بتبدل الخوارزميات.

-طقوس عمومية للذكرى تطيل عمر سرديات بعينها.

-أرشفة مرئية غير مستقرة تساوي بين المحفوظ والمعروض.

6. **النتائج العامة للتحليل:**

من خلال التحليل النقدي والمتعمق للدراسات السابقة والأدبيات التي عالجت مواضيع لها علاقة بتعليم التاريخ وتدريسه، وبناء الذاكرة الجماعية في العصر الرقمي وكذا تلقي المعلومات عبر منصات وشبكات التواصل الاجتماعي، توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج يمكن عرضها على النحو التالي:

- تدفع قواعد المنصات المنتجين إلى هندسة السرد التاريخي قبل نشره، إذ تتم صياغة المعلومات والقصص التاريخية وفق مقاييس أداء مرئية، مثل زمن المشاهدة، ومعدل الإكمال، والنقرات، ومشاركة المنشورات، بدل الاقتصار على الإسناد العلمي والسياق كمعيارين أساسيين يتحكمان في جودة السرد، عمليا يختصر السياق عبر شبكات التواصل الاجتماعي في فقرات محكمة الإيقاع، وعناوين مكثفة وصور مصغرة عالية الجاذبية، ويتم تقطيع المادة التاريخية إلى وحدات قصيرة قابلة للتدوير، مع ضبط طول الفيديو أو الفقرة ليتلاءم مع المؤشرات التي تكافئها المنصة، يضاف إلى ذلك توقيت النشر وإضافة وسوم للمحتوى، بما يزيد احتمالية التوصية، وهو ما يجعل القرارات الأسلوبية والبنائية لهذا المحتوى تتجه نحو الإيجاز والتكثيف، والاعتماد على صيغ قابلة للمشاركة، مع ربط لاحق بمداخل توثيق موسعة عند الإمكان، لمنه يظل في البداية موجه للمنافسة على العرض على شبكات التواصل الاجتماعية، لا على أساس البرهنة ومقاييس التحقق العلمية.

- تشتغل ثلاث دوائر متداخلة لتحديد مركز الواجهة الشبكية ومحاورها عند نشر السرديات التاريخية، وهي: الترتيب والاقتراح والاعتدال، وذلك عبر رفع المحتوى المتوقع أن يحقق تفاعلا وزمن مشاهدة أعلى داخل جماعات ومجموعات شبكية متقاربة بنيويا، وخفض ما يعد ضعيف الملاءمة أو منخفض الآداء أو حساسا لسياسات الشبكة، وتستند هذه الآلية إلى تحويل الأثر البشري إلى بيانات قابلة للقياس، فتقرر الشبكة في الزمن الحقيقي ما يُدفع إلى الصدارة وما يُزاح إلى الهامش، مشكلة أفق تفسير يسبق القراءة ويؤطرها.

- تملك الحكايات الجديدة والمثيرة ثلاث مميزات بنيوية في بيئة شبكات التواصل الاجتماعي، وهي الجدة والانفعال وسهولة الالتقاط، وهي خصائص تخفض كلفة الانتباه وتولد إشارات أداء تكافئها خوارزميات الترتيب فورا، فبمجرد بداية التفاعل الأولي، تعمل حلقات التعزيز متمثلة في تكرار الظهور، وتمدد الشبكات الثانوية، وكثرة التعليقات، فيزداد الحضور وتتعاظم القابلية للمشاركة. بالمقابل تحتاج الروايات المؤرشفة المعللة إلى زمن إدراكي أطول ومسار تحقق أعقد(النسب والإحصاءات والمصادر والسياقات)، فتخسر أولوية اللحظة أمام مؤشرات تكافئ السرعة والملاءمة اللحظية.

- من أبرز المهارات الرقمية اللازمة عند تحليل وتقييم المنشورات التاريخية عبر شبكات التواصل الاجتماعي، مهارة القراءة الجانبية (الخروج من المنشور سريعا للبحث عن خلفية الجهة والكاتب وسمعة المصدر عبر مراجع مستقلة)، والتحقق متعدد المصادر وربط المعلومات بسلسلة نسب معرفية واضحة ومصادر أولية إن وُجدت، يُضاف إليها التمييز بين المنصة والناشر (عدم مساواة شارات المنصة بالموثوقية التحريرية)، وفحص أثر التحرير والعناوين على النقر على المنشورات ذات البعد التاريخي، ورصد تضارب المصالح والإشارات التجارية المقنّعة، كما يلزم وجود وعي خوارزمي يُفسّر لماذا ظهر هذا المحتوى التاريخي الآن ولمن صُمم، وكيف تؤثر سياسات الترتيب والاقتراح والاعتدال عبر شبكات التواصل الاجتماعي في حضوره.

- تتحول الحسابات والصفحات والموسوعات التعاونية في شبكات التواصل الاجتماعي إلى أماكن للذاكرة تؤثر فيما يبقى حاضرا، تدار من خلال قواعد الشبكة، من حيث ترتيب الحضور وسياسات الاقتراح وحدود الملاءمة مع طقوس رقمية يومية (تعليقات، إحياء ذكريات، إعادة مشاركة)، حيث تُبقي هذه الشبكات أسماء وأحداثا بعينها حاضرة في الحياة، وويكيبيديا خير مثال تظهر من خلاله ذاكرة تفاوضية تحرر جماعيا من خلال ربط متبادل بين المستخدمين وسياسة المراجعات المستمرة.

- تنتقل الشرعية المتعلقة بالروايات والسرديات التاريخية عبر شيكات التواصل الاجتماعي من قوة الإسناد والسياق إلى شرعية أداء المنصة، فما يتكرر ويوصى به من قبل مستخدمين آخرين، وما يعاد ظهوره يُقرأ اجتماعيا كأصدق سردية، بينما يتم تهميش ما يتطلب جهدا أكبر من أجل التحقق حتى ولو كان أوثق سندا، ويتعاظم أثر هذا التحول لاقترانه مع مجموعة من الانحيازيات الإدراكية(سهولة المعالجة، أثر الألفة مع المضمون) وهو ما يجعل المألوف من السرديات التاريخية أقرب للتصديق، وع اعتماد الجمهور على إشارات الواجهة (عدد التفاعلات وسرعة الظهور) كمؤشرات بديلة للثقة.

- يتم الحد من اختلالات تلقي السرديات التاريخية عبر شبكات التواصل الاجتماعي من خلال بناء مسار مزدوج في الشبكة ذاتها، فتكون الواجهات لها قابلية عالية للمشاركة، لكنها تستند دائما إلى روابط جانبية من أجل التوثيق والإسناد التاريخي العلمي (ملفات كاملة، نصادر أولية، نسخ مؤرشفة)، مع تدريب منهجي على القراءة الجانبية والتحقق متعدد المصادر من خلال مناهج التاريخ والإعلام.

الخاتمة:

أظهرت هذه الدراسة بوضوح أن شبكات التواصل الاجتماعي لم تكتف بتعديل وسائل إنتاج السرديات التاريخية، بل غيّرت بنيتها تماما، ففي ظل بيئة تميزها خوارزميات الترتيب والاقتراح والاعتدال، صار السرد التاريخي يقاس بمدى قدرته على تحقيق أداء مرئي فوري يتماشى مع منطق التفاعل والزمن اللحظي للشبكة، لا بمتانة الإسناد والسياق والمنهج العلمي، وعلى هذا الأساس صعدت للواجهة السرديات التاريخية القصيرة المشحونة بالعاطفة وسهلة الالتقاط، لتصبح الشكل الأكثر رواجا وانتشارا، لا بفعل موثوقيتها، بل بفضل قابليتها للتعزيز الشبكي المستمر، إذ تكرس الخوارزميات ظهورها وتضاعف حضورها عبر حلقات توصية متتابعة.

في المقابل، تُدفع الروايات المؤرشفة، الأمتن سندا والأكثر تداولا إلى هوامش الرؤية الرقمية، لارتفاع كلفتها الإدراكية وحاجتها إلى زمن أطول للفهم والتمحيص، وهكذا لا تعاد صياغة الذاكرة الجمعية فقط، بل يعاد تحديد معيار الصدق نفسه، فالأصدق اجتماعيا ليس ما ثبت توثيقه تاريخيا، إنما هو ما تكرر ظهوره وتزايدت حوله مؤشرات التفاعل والتوصية، في بيئة شبكية يغلب عليها التكرار.وتؤثر فيها سهولة المعالجة وأثر الألفة على مهارات التحقق والقراءة النقدية، وبهذا المعنى لا يمكن فهم صناعة الحقيقة التاريخية اليوم دون استحضار البنية التقنية التي تؤطرها، ولا يمكن فصل مضمون السرد عن شروط عرضه وتداوله، فمعركة السرد التاريخي اليوم تخاض على مستوى بنيته وشكله وأدوات انتشاره، ضمن بيئة رقمية تعيد باستمرار تعريف ما يُرى وما يُنسى وما يقال وما يصدّق.

البيبليوغرافيا:

- الدراسات (كتب و مقالات)

1. ASMAN, S. (2019). *Finding traces in YouTube's living archive: Exploring web archaeology*. *Tijdschrift voor Mediageschiedenis* (TMG), 22(1), 1–19. https://doi.org/10.18146/tmg.477
2. ALLEN, J., HOWLAND, B., MOBIUS, M., ROTHSCHILD, D., & WATTS, D. J. (2020). *Evaluating the fake news problem at the scale of the information ecosystem*. *Science Advances*, 6(14), eaay3539 (1–12). https://doi.org/10.1126/sciadv.aay3539
3. BAKSHY, E., MESSING, S., & ADAMIC, L. A. (2015). *Exposure to ideologically diverse news and opinion on Facebook. Science*, 348(6239), 1130–1132. https://doi.org/10.1126/science.aaa1160
4. BRUBAKER, J. R., HAYES, G. R., & DOURISH, P. (2013). *Beyond the grave: Facebook as a site for the expansion of death and mourning*. *The Information Society*, 29(3), 152–163. https://doi.org/10.1080/01972243.2013.777300
5. BUCHER, T. (2018). *If…Then: Algorithmic power and politics*. Oxford University Press.
6. FAZIO, L. K., BRASHIER, N. M., PAYNE, B. K., & MARSH, E. J. (2019). *Knowledge does not protect against illusory truth*. *Journal of Experimental Psychology*: General, 148(12), 2008–2025. https://doi.org/10.1037/xge0000528
7. GILLESPIE, T. (2014). *The relevance of algorithms. In T. Gillespie, P. J. Boczkowski, & K. A. Foot (Eds.), Media technologies*: *Essays on communication, materiality, and society* (pp. 167–194). MIT Press. https://doi.org/10.7551/mitpress/9780262525374.003.0009
8. GILLESPIE, T. (2018). *Custodians of the internet: Platforms, content moderation, and the hidden decisions that shape social media*. Yale University Press.
9. GILLESPIE, T. (2018). *Platforms are not intermediaries. Georgetown Law Technology Review*, 2(2), 198–216. https://georgetownlawtechreview.org/platforms-are-not-intermediaries/GLTR-07-2018/
10. GRINBERG, N., Joseph, K., Friedland, L., Swire-Thompson, B., & Lazer, D. (2019). *Fake news on Twitter during the 2016 U.S. presidential election. Science*, 363(6425), 374–378.
11. HARTOG, F. (2003). *Régimes d'historicité. Présentisme et expériences du temps*. Paris: Seuil.
12. HASHER, L., Goldstein, D., & Toppino, T. (1977). *Frequency and the conference of referential validity. Journal of Verbal Learning and Verbal Be*havior, 16(1), 107–112. https://doi.org/10.1016/S0022-5371(77)80012-1
13. HOSKINS, A. (2009). *Digital network memory. In A. Erll & A. Rigney (Eds.), Mediation, remediation, and the dynamics of cultural memory* (pp. 91–106). De Gruyter.
14. JENKINS, H. (2006). *Convergence culture: Where old and new media collide*. New York: NYU PressNoble, S. U. (2018). *Algorithms of oppression: How search engines reinforce racism*. New York: NYU Press.
15. KERN, R., FORMAN, A., GILBERT, E., & SCHRAMM, H. (2013). R.I.P.: *Remain in perpetuity—Facebook memorial pages. Telematics and Informatics,* 30(1), 2–10. https://doi.org/10.1016/j.tele.2012.03.001
16. LEWANDOWSKY, S., ECKER, U. K. H., SEIFERT, C., SCHWARTZ, N., & COOK, J. (2012). *Misinformation and its correction: Continued influence and successful debiasing. Psychological Science in the Public Interest*, 13(3), 106–131. https://doi.org/10.1177/1529100612451018
17. MCGREW, S., BREAKSTONE, J., ORTEGA, T., SMITH, M., & WINEBURG, S. (2018). C*an students evaluate online sources? Learning from assessments of civic online reasoning. Theory & Research in Social Education*, 46(2), 165–193. https://doi.org/10.1080/00933104.2017.1416320
18. PENNYCOOK, G., & RAND, D. G. (2019). *Lazy, not biased: Susceptibility to partisan fake news is better explained by lack of reasoning than by motivated reasoning. Cognition,* 188, 39–50. https://doi.org/10.1016/j.cognition.2018.06.011
19. PENTZOLD, C. (2009). *The online encyclopaedia Wikipedia as a global memory place: A cultural-historical approach. Memory Studies*, 2(2), 255–272. https://doi.org/10.1177/1750698008102052
20. VAN DIJCK, J., & POELL, T. (2013). *Understanding social media logic. Media and Communication*, 1(1), 2–14. https://doi.org/10.17645/mac.v1i1.70
21. VOSOUGHIi, S., ROY, D., & ARAL, S. (2018). *The spread of true and false news online. Science*, 359(6380), 1146–1151. https://doi.org/10.1126/science.aap9559

22. WINEBURG, S., & MCGREW, S. (2018). *Lateral reading and the nature of expertise: Reading less and learning more when evaluating digital information (Working paper),* 1–36. Stanford History Education Group. https://purl.stanford.edu/kh394kt5333
23. WINEBURG, S., MCGREW, S., BREAKSTONE, J., & ORTEGA, T. (2016). *Evaluating information: The cornerstone of civic online reasoning* (Report), 1–56. Stanford History Education Group.

-المؤتمرات العلمية المنشورة:

24. BRUBAKER, J. R., & CALLISON-BURCH, V. (2016). *Legacy contact: Designing and implementing post-mortem stewardship at Facebook.* In Proceedings of the 2016 CHI Conference on Human Factors in Computing Systems (CHI '16), 2908–2919. ACM. https://doi.org/10.1145/2858036.2858573
25. ESLAMI, M., RICKMAN, A., VACCARO, K., ALEYACEN, A., VUONG, A., KARAHALIOS, K., HAMILTON, K., & SANDVIG, C. (2015). *"I always assumed that I wasn't really that close to [her]": Reasoning about invisible algorithms in the News Feed*. In Proceedings of CHI 2015, 153–162. ACM. https://doi.org/10.1145/2702123.2702556